قراءة ثقافية للقصة القصيرة
مالك الحزين بين الشرق والغرب
للكاتبة سارة وزني جويت

إعداد أ./ رضوى حسين فرغلي[1]

المقدمة:

تلعب ثقافة الطفل وأدبه دوراً مهمًا في تشكيل شخصية الطفل وفي إعداده للمستقبل، لذا يعد أدب الأطفال من أهم روافد ثقافة الطفل، وذلك لما يتمتع به من عناصر الجاذبية التي تشد انتباه الطفل، كما أنه يمثل الجزء الأكبر من المادة الثقافية التي تقدم له عن طريق الأجهزة والوسائل المتعددة، ولا نبالغ إذ ذهبنا إلى القول بأنه عصب وسائل إعلام الطفل، فالنصيب الأوفر في صحافة الأطفال لأدب الطفل بعامة وقصص الأطفال بخاصة، وكذلك كل ما تقدمه وسائل الإعلام الأخرى من إذاعة وتلفاز ومسرح يعتمد بشكل أو بأخر على النتاج الأدبي الذي كتب للأطفال، أي أن أدب الأطفال يشكل معظم المادة الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية التي تقدم للطفل.

فمما لاشك فيه، أن أدب الأطفال يمثل ركنًا رئيسًا في بناء شخصيات الأطفال، ولا يمكن اكتمال الشخصية السوية للطفل في حالة غياب أدب أطفال جاد وجيد، وكلما ارتقينا بمستوى أدب الأطفال وأصبح في متناول الأطفال، كلما اقتربنا من الطريق السليم نحو طفولة سوية، لأن أدب الأطفال يشكل وجدان الطفل وينمي عواطفه، ويساعده على ضبط انفعالاته، ويسهم في نمو لغته وتشكيل قيمه وإمداده بالمعلومات، وتنمية مشاعر الولاء والانتماء لأمته ووطنه . ولهذا يعد أدب الأطفال من أهم الوسائط التربوية التي تسهم في إعداد الطفل لمواجهة التحديات المستقبلية.

فكما أشار حسن شحاتة لأهمية دور أدب الأطفال المعني بتربية الطفل ثقافيًا، فيقول: " أدب الأطفال يعتبر وسيطًا تربويًا، يتيح الفرصة أمام الأطفال لمعرفة الإجابات عن أسئلتهم واستفساراتهم، ومحاولات الاستكشاف واستخدام الخيال، وتقبل الخبرات الجديدة التي يرفضها أدب الأطفال. انه يتيح الفرصة أمام الأطفال لتحقيق الثقة بالنفس، وروح المخاطرة في مواصلة البحث والكشف، وحب الاستطلاع، وإيجاد الدافع للإنجاز الذي يدفع إلى المخاطرة العلمية المحسوبة، من أجل الاكتشاف والتحرر من الأساليب المعتادة للتفكير والاستكشاف، من اجل مزيد من المعرفة لنفسه وبيئته " .
(شحاته، ص 5)

(1) معيدة بكلية الألسن ـ جامعة مصر الدولية.

تعتبر قصص أدب الأطفال ليست مجرد حدوتة تروي دون أي هدف، بل على عكس ذلك، فهي تقع في ثقافات معينة في أوقات زمنية محددة، وبالتالي فهي مرآة لمجتمعاتها تعكس قيمها ومبادئها. ولذلك، فإن القصص التي تنبع من خيال كتَابها تصبح جزءاً من جملة قصص تكون منظومة قومية تتضمن أحلام وطموحات ومخاوف ثقافة معينة. وحيث أن الصغار مستقبل أي أمة، فإن الأدب الذي يكتبه لهم الكبار جهد واع، يعمل على تشكيل إيديولوجيتهم وتمكينهم من التكيف والانسجام مع مجتمعاتهم المختلفة. ولذلك، يضطلع أدب الأطفال المكتوب بدور لا يمكن تجاهله في عملية التطور العاطفي والعقلي والاجتماعي للطفل، فهو يعتمد بصورة كبيرة على مفهوم الرسالة الموجهة إلى قارئه والوعي التام بما يقدم له، والغاية المنشودة من ذلك.

فضلاً عن ما سبق، أن الكتاب الذي يتضمن أدبًا موجهًا للأطفال، بالإضافة إلى انه يوفر للطفل متعة القراءة، والنمو اللغوي والانفعالي، وتنمية الحس الجمالي، وإكسابه قيم وعادات وسلوكيات ومهارات لغوية وتعبيرية، وتشجيع الطفل على الخير والاعتماد على العادات الطيبة، ونبذ الشر والنفور من العادات السيئة، وإكسابه القيم الأصيلة النبيلة وغرس العادات والسلوكيات الإيجابية وتنمية شخصيته وتهذيب مكونتها، وصقل سلوكه وفق قيم قوانين المجتمع، فإنه يمنحه قدرة على التفكير تساعده على عيش خبرات الآخرين، ومن ثم تتسع خبراته وآفاقه من أجل تقبل الغير وفهم ثقافته والتعايش معه، كما يعضد تنمية الاتجاهات الطيبة عند الطفل نحو الكائنات الأخرى والعقائد المختلفة والأعمال المهنية المتعددة مع احترام جميع الأفراد باختلاف العرق، والجنس، ولون، والعقيدة، والديانة، والانتماء، والموطن. كما يسهم في تخفيف حدة المشكلات التي يواجها الطفل وشرح سبل مواجهتها له حتى يزداد ثقة بنفسه ويشارك الآخرين في وجهات نظرهم. فهو أيضًا يشبع حاجاته النفسية والوجدانية والاجتماعية، وإرواء ظمأ الطفولة فيه في أطار بناء الشخصية المتكاملة القادرة على الانسجام، والقابلة للتطور ليكون في النهاية فرداً صالحًا في مجتمعه وعنصر بناء في محيطه. وفضلاً عن ذلك تساعده أيضًا على مواجهة مشكلات العصر، وإيجاد الحلول الملائمة لها، كحماية الطبيعة والبيئة والمحافظة على النظافة، والتعرف على حقوقه وكيفية المطالبة بها.

وكل ما سبق يؤكد أن أدب الأطفال يحتل مكانة هامة في بناء شخصية الطفل وتثقيفه ومعرفته وتنمية جوانبه المختلفة لأن أدب الأطفال أدب بناء وتربية، وليس أدب تقويم وإصلاح. ويرجع ذلك إلى أن الطفل نشء غض يسهل بناؤه وتكوينه وتشكيله إذا ما أحسنت مداخل هذا البناء وإذا ما قويت دعائم هذه التربية من خلال ما يتناوله أدب الأطفال من قصص وحكايات تقوم بدور متميز في تأكيد القيم الاجتماعية والمواقف السلوكية وترسيخ المعاني النبيلة من أجل تزويد الأطفال بالخبرات والتجارب الإنسانية المختلفة بحيث يقبلون على تعلمها ومن ثم تمثلها ومحاكاتها في تصرفاتهم ومواقفهم الحياتية الحاضرة والمستقبلية حتى تصبح ملكًا لهم وأساسًا في تكوين شخصياتهم.

وتمشيًا مع هذا التفكير، وفضلاً عن الآثار الإيجابية لأدب الأطفال التي تساهم بوضوح في تكوين الأطفال، وبناء شخصياتهم، ومساعدتهم على التواصل الثقافي مع الشعوب المختلفة، وإعدادهم ليكونوا رواد الحياة، تتناول هذه الورقة البحثية تُأثر أدب الأطفال بنظرية أنثوية البيئة وانعكاسها على الروائية الأمريكية سارة ورني جويت من خلال قراءة تحليلية لعملها الإبداعي الشهير وهي قصة بعنوان " مالك الحزين " .

نبذة عن نظرية أنثوية البيئة:

أود في البداية إعطاء نبذة عن ماهية نظرية أنثوية البيئة، قد شهد العقدان الماضيان على وجه الخصوص اهتمامًا هائلاً بكل من الحركة النسائية والحركة البيئية. وقد أقترح كثير من مفكري النسوية بان أهداف هاتين الحركتين مترابطة ومتبادلة التآزر. كما أن كلتيهما تتضمن تطوير نظرات إلى العالم وممارسات خالية من نماذج الهيمنة المنحازة ذكوريًا. ولهذا نادًا مفكري النسوية إلى توحيد الفكر النسوي مع الفكر البيئي من أجل وضع نهاية للظلم والاضطهاد الواقع عليهما من قبل المجتمع الذكوري ومن ثم فتوصلوا إلى وضع إطار من خلال اتجاه يسمي بـ " أنثوية البيئة " .

إن نظرية أنثوية البيئة Ecofeminism تشتق اسمها من وجود ارتباط وثيق بين التدمير البيئي واضطهاد النساء فمنذ قديم الأزل المرأة مرتبطة بالطبيعة ارتباطًا وثيقًا، كما أنهما منذ آلاف القرون يتعرضا للاستغلال والاضطهاد من قبل المجتمع الذكوري المسيطر عليهما.

فقد بدأت نظرية أنثوية البيئة كحركة اجتماعية معنية بقضايا اضطهاد المرأة والطبيعة في أن لتتحول أثر ذلك الربط الموضوعي والجمالي بين حركتين حقوقيتين إلى حركة تحررية كبرى بات منظروها أميل إلى مناهضة كل ما يشي بالتفرقة أو الاضطهاد العرقي أو الطبقي أو البيئي وعليه تم تأوين ذلك المنطلق الحقوقي من التفكير الفارط في النسوية وترحيله إلى آفاق الثقافة والفن واللغات والعلوم والدين.

وفي الواقع أن نظرية " أنثوية البيئة " تقوم على إقرار الروابط الوثيقة بين استغلال الطبيعة واضطهاد المرأة من قبل المجتمعات الذكورية، فلذلك تسعي هذه النظرية إلى القضاء على جميع أشكال الظلم الواقع على المرأة والطبيعة والحد من هذا التفريط في اضطهاد المرآة والطبيعة من سيطرة الرجل ونفوذه. لهذا تعتبر نظرية أنثوية البيئة اتجاه سياسي، فلسفي، واجتماعي قائم على الربط بين التفكير النسوي والتفكير البيئي من خلال ربط المرأة والطبيعة بكافة أشكال الاضطهاد.

إن الكاتبة الفرنسية فرنسوا دابينوا أول من دعا إلى الاهتمام بقدرات المرآة الكامنة في الحفاظ على البيئة كما أنها من أوائل من أسسوا نظرية انثوية البيئة ونشر مبادئها وذلك في عام1974. فقد تحدثت عنها الكاتبة باربرا ت. جاتيز في مقالها " جذور أنثوية البيئة " بأن فرنسوا دابينوا أسست فكرها النسوى البيئي على ركيزة أساسية إلا وهى " الربط بين التدمير البيئة واضطهاد النساء " (ص16) كما أضافت

جيتز أن فرنسوا دابينوا أصدرت أعمال كثيرة لها تلقى أضوء على أسباب اختيارها لوضع نظرية انثوية البيئة والى على رأسها أنها وجدت أن النساء تعاملن كأقليات وليسوا كنصف المجتمع وشأنهم في تلك كشأن الطبيعة مهمشين من قبل المجتمع الذكوري كما أنها تستحس النساء بان ينقذن أنفسهن والبيئة في أن واحد من الظلم الواقع عليهم وأن تأخذ النساء موقف من تهميش دور الرجل لهن وللبيئة. ولهذا تعتبر فرنسوا دابينو أول من دعا إلى الثورة النسوية البيئية من أجل الحفاظ على المساواة بين المرأة والبيئة في كفة والرجل في الكفة الأخرى دون أن ترجح كفة على كفة أخرى كما أنها أصرت على أهمية توعية الرجل بدور المرأة والبيئة وتغير وجهة نظره تجاههما حتى تعيش جميع الكائنات على وجه البسيطة دون تعنت وظلم احدهم إلى الأخر.

وبناء على أراء فرنسوا دابينوا ونظريتها ورؤاها الفلسفية فقد تحرك النسويون البيئيون نحو محاربة كل المؤشرات والمظاهر الأبوية " Patriarchy " التي تستهدف الطبيعة والنساء على حد سواء وإلى تمادت بسلطتها الذكورية المركزية بعدم أقرار أهمية الاختلاف الجنسي وثنائية الكينونة لأحداث تلك المواءمة في الرؤية إلى الكون. أن ارتباط المرآة بالطبيعة يرجع إلى الدور الذي تلعبه كل منهما فكلاهما يعد أصل الحياة وسبب أساسي في التناسل ووجود الجنس سواء البشري أو الحيواني أو النباتي على وجه الأرض. ولتوضيح ذلك أكثر فإن ارتباط المرأة بالطبيعة يرجع إلى منزلة وقدسية الطبيعة أو البيئة نفسها بما أنها الأم الكبرى والرمز الروحي لكل ما هو نفعي وجمالي، فخرابها أو أحداث القطيعة معها إنما يعنى النكوث بكل ما هو إنساني ورباني ولذلك يدعو النسويون البيئيون دائمًا إلى العودة إلى رحم الأرض، بما أنها الأم الأولى وممكن الانبثاق وتخليق البني الكونية، بمعنى أنها موضع تجدد الحياة وانبعاثها.

لقد انتشرت أفكار النسويون البيئيون وكتاباتهن ومن أشهرهن روز ماري رادفورد رويثر التي عبرت عن رأيها في كتابها "امرأة جديدة / أرض جديدة" أن هيمنة الرجل وسلطته على البيئة تعد سبب أساسي في التدهور البيئي ولكن المرأة ترى أن البيئة هي الأم الكبرى لها ولذلك هي تحافظ عليها وترعها جيداً على عكس الرجل الذي وضع نفسه في مرتبة تعلو المرأة والطبيعة، فهو لم يعد جزء من الطبيعة ولكن متحكم فيها حتى انه اعتقد أنه له الحق أن يستغلها هي والمرأة على حد سواء وذلك مما دفع الكثير من النسويين، وعلى الأخص النسويين البئيين اتخاذ موقف رويثير وهو أن البيئة قضية نسوية. أن كل ما يتعلق بقضايا البيئة مثل الأحترار العالمي، وازالة الغابات، وخسران التنوع الحيوي، وانقراض الأنواع الحية، وتلوث الهواء والماء ينال الاهتمام النسوى لأنها قضايا تتعلق بأمهم الكبرى إلا وهى الطبيعة.

إن حركة أنثوية البيئة تهدف إلى تقويض النظام الذكوري المتحيز ضد المرأة والطبيعة كما تسعى إلى قضاء على التفكير الثنائي الرجل ضد المرأة والطبيعة من أجل خلق بيئة متكاملة تقوم على جهود المرأة والرجل سويًا من أجل الحفاظ عليها واستمراريتها.

وبعد أن قمت بتحليل نظرية أنثوية البيئة واستعرض أرآء بعض من النسويين البيئيين فما يخص رفض السيطرة على المرأة والطفلة الفتاة والطبيعة من قبل الرجل. أود الآن مناقشة كيف تاثر أدب الأطفال بنظرية أنثوية البيئة فيما يخص تصوير علاقة الطفلة الفتاة بالطبيعة مقابل علاقة الفتي الذكر بالطبيعة في المجتمع، وذلك بتحليل واحدة من أهم أعمال الأديبة العالمية سارة ورني جويت وهي قصتها الشهيرة "مالك الحزين".

نبذة عن الكاتبة وأسلوبها في كتابة النص:

ولنتعرف أكثر على هذه الكاتبة اسمها تردد كثيرًا كأشهر روائية أمريكية دافعت عن حقوق المرأة والطفلة الفتاة والطبيعة على مستوي العالم. لقد برز اسمها في القرن التاسع عشر كموهبة خاصة تأثرت بالحركة الرومانسية فتميزت حكايتها بأفكارها الإنسانية الهادفة التي تقدس الطبيعة والحياة وبمضمونها المتصل بالتجربة الواقعية، كما أتسم أسلوبها بالاعتماد على الخيال، وحرية التفكير، وقوة الإمتاع، والتشويق، والعمق، والبساطة. لقد عُرفت جويت بميلها إلى الطبيعة التي لعبت دورًا مميزًا في أعمالها الأدبية كأنها واحدة من أحدى بطلاتها كما أنها تمثل سببًا من أسباب التقاء واستمرارية الحياة البشرية والعلاقات الإنسانية على وجه الكرة الأرضية. أن جويت لم تكتب عن وصفًا للطبيعة فقط بل تناولت من خلال ذلك قضايا تهم المجتمع مثل الطبقة العاملة، الأقليات، وسيطرة الرجل واستغلاله للمرأة والطفلة الفتاة.

وفي كتابها "الجنس الثاني" قالت الفيلسوفة الفرنسية سيمون دى بوفوار "إن الطبيعة تعد أحدى العوالم الخفية التي تحب الأديبات اكتشافها وإبرازها في أعمالهن الأدبية" ***(برات، ص480)***. فبلا شك أن الأديبات لهن رؤية خاصة عند التعامل مع علاقة المرأة بالطبيعة وذلك يرجع لإدراكهن البالغ بأهمية القضايا البيئية والتي تتعلق بالأيديولوجية الذكورية المسيطرة على المرأة والطبيعة فضلاً عن ذلك إيمانهن العميق بان الطبيعة هي الأم الكبرى لهن وتحميهن من انتهاكات الرجل فلهذا يصروا على تقديم المرأة أو الطفلة الفتاة في كتاباتهن على أنها مناضلة، مدافعة عن البيئة، مستاءة من كونها ضحية لسيطرة الرجل عليها ومن ثم هؤلاء الكاتبات يواجهن تحديات بالغة الصعوبة في التغلب على الحواجز الاجتماعية من أجل المشاركة في عملية إعادة صياغة العلاقة بين المرأة أو الطفلة الفتاة والطبيعة في عالم الأدب.

وهذا يتضح جليًا عند سارة ورني جويت فقد اهتمت بعلاقة الطفلة الفتاة بالطبيعة اهتمامًا بالغًا ووضعتها في مكان بارزًا. لهذا لقد لاحظ العديد من النقاد وعلى رأسهم موريين دافيين أن أسلوب جويت القصصي يعتمد على اتجاه الأدب النسائي مع إبراز الطبيعة مما أدى إلى مزج المرأة والطفلة الفتاة بالطبيعة في معظم روايتها ولم تكتفي بذلك بل عبرت عن واقع المرأة والطفلة الفتاة شديد الالتصاق بالطبيعة ودفاعها المستميت عنهما ضد المجتمع الذكوري وتتسم أعمال جويت بالحكمة والنضج

والعمق الشديد لفهم الحياة وذلك مما أعطى جويت مكانة متميزة ضمن الروائيات الأمريكيات الأخريات.

في الحقيقة أن أسلوب جويت في الكتابة يتميز عن غيرها من الروائيات وذلك يرجع لاعتمادها الأساسي على أبطالها وتصويرهم كشخصيات حقيقية ليست بعيدة عن الواقع ورسم تلك الشخصيات بحرفية شديدة لها طابع خاص ذات بعد ومغزى عميق فجويت تؤمن بالاهتمام برسم الشخصيات أكثر من التركيز على الحبكة الدرامية حتى أن بعض أعمالها تفتقد هذه الحبكة اعتقاداً منها ككاتبة لا ترغب في السيطرة على أفكار القارئ بل تترك له مساحة من الحرية في استنباط المعاني الرئيسية من وراء النص الأدبي.

أن الأنماط التعبيرية والأسلوبية واللغوية التي وردت في هذا النص تعكس الثقافة الذكورية التي تعتبر الطفلة الفتاة والطبيعة سلع تكاد تكون مملوكة للذكر الذي بدوره يسعى لفرض سطوته وسيطرته ويستهلكها كما يستهلك ملذاته كما تظهر ثورة الكاتبة ضد المعتقدات المألوفة في مجتمعات القرن التاسع عشر القائمة على تجاهل دور الطفلة الفتاة والطبيعة. وفي الواقع أن قصة "مالك الحزين" تسلط الضوء على مواجهة حقيقية بين المجتمع الذكورى المتمثل في الصياد وسلحه وماله والمجتمع النسوى المتمثل في العلاقة بين الطفلة الفتاة المحبة للطبيعة بطلة القصة وتسمي سيلفيا والطائر.

وقصة "مالك الحزين" التي كتبتها سارة ورني جويت للأطفال توحي لنا بأن الكاتبة كانت على يقين بأن أدب الطفولة والأطفال هو "أقوي سبيل يعرف به الصغار الحياة بأبعادها المختلفة، وأنه وسيلة من وسائل التعليم والتسلية وأسلوب يكتشف به الطفل مواطن الخطاء والصواب في المجتمع، ويقف على حقيقة ما في الحياة من خير وشر" ***(الحديدي، ص246)***. ولهذا كانت جويت تري أن الأطفال حتى لا يخدعوا حين يواجهون الحياة يجب أن يصور لهم ما فيها من شر وظلم واستغلال وتحكم بالصورة الموجودة عليها في المجتمع جنبًا إلى جنب مع العدالة والخيرة والحب والتعاون لأنها في الحياة كذلك. وهذا الفهم الواعي العميق للدور الذي يمكن أن يلعبه أدب الأطفال منح جويت لونًا من المعرفة الواعية بنوع الأدب الذي تقدمه للأطفال، فأعطتاهم به صورة واضحة لمجتمعهم الذي سيعيشون فيه، ولمشكلات الحياة التي سيواجهونها فيما بعد. ومن ثم فقد ساهمت قصة "المالك الحزين" لجويت في خلق طفل مثابر، مخلص، اجتماعي، متعاون يقف أمام المخاوف لا يفر منها ويواجه الصعاب ليتغلب عليها مما يعمل على تبصير الطفل بواقع الحياة.

ولقد نجحت جويت من خلال قصتها "المالك الحزين" في استخدام وسائط وشخصيات أخرى من الأفراد على سبيل المثال الصياد والحيوانات مثل المالك الحزين وحتى الموجودات الطبيعية من اجل نقل قيم اجتماعية والتأكيد على مقولات فكرية للمجتمع بأسلوب مقنع وممتع مغلف بحبكات شيقة بعيدة الأثر، وقالب جميل متكامل، ورشاقة العبارة، وسرعة حركة الأحداث وقوتها، وحيوية الحوار

والابتعاد عن المبالغة في الوصف والتوضيحات والإبحار في دنيا الخيال، فبذلك استطاعت جويت تقديم مادة أدبية محببة إلى نفسية الطفل قريبة من مداركه العاطفية والعقلية والاجتماعية.

تحليل النص:

إدراكًا من أن الرسالة الأولي لأدب الطفل هي تشكيل ثقافة الطفل التي تتوافق مع العصر، وتواصله مع الأخر، وتقبل الغير، وفهم أنماط الثقافات الأخرى، ومساعدته على التواصل الثقافي مع الشعوب المختلفة، ولفت نظره إلى مشكلات سلوكية شائعة مثل : التلوث البيئي، وتبصيره بمشكلات مجتمعه وإخطارها وسبل التغلب عليها والإسهام في حلها، تتناول الورقة البحثية التي أقدمها قراءة تحليلية لواحدة من أهم الأعمال الأدبية لسارة ورني جويت وهى قصة قصيرة بعنوان "مالك الحزين" في ظل نظرية أنثوية البيئة لإبراز الدور الذي يلعبه أدب الأطفال في تناول المشكلات، ويحد من ظهورها أو تفاقمها سواء كانت مشكلات ظواهر اجتماعية ككسر الصورة النمطية السائدة عن المرأة من حيث إعطاء صورة غير نمطية للطفلة الفتاة الشغوفة بالعلم والمعرفة والقادرة على الخلق والابتكار وتحمل المسئولية، أو ظواهر عامة كغرس الاتجاهات الإيجابية نحو البيئة : مثل حب مكونات البيئة من أنهار وأودية وجبال، والتغني بها والحفاظ عليها، وذلك بعدم إلحاق الضرر بها، وإزالة ما وقع بها من ضرر، واستثمارها، والاستفادة المبدعة منها، وأخيرا تجميلها وإثرائها.

وقد آثرت في هذا البحث الاعتماد على القصة لنوع النص الأدبي موضوع الدراسة لأن القصة تمثل أهم نوع من أنواع أدب الأطفال فهي تستعين بالكلمة في التجسيد الفني حيث تتخذ الكلمات فيها مواقع فنية كما تتشكل فيها عناصر تزيد في قوة التجسيد من خلال خلق الشخصيات وتكوين الأجواء والمواقف والحوادث وهي بهذا لا تعرض معاني وأفكارا فحسب، بل تقود إلى إثارة عواطف وانفعالات لدى الطفل إضافة إلى إثارتها العمليات العقلية المعرفية كالإدراك والتخيل والتفكير. يلاحظ أن القصة تنسجم مع طبيعة الطفل وشخصيته لما لها من القدرة السحرية على جذب انتباه وخصوصا أنها تقوده بلطف ورقة وسحر إلى الاتجاه الذي تحمله، فيتعايش مع أفكارها، فهو يقوم بقراءتها أو يستمع إليها بشغف ويحلق في أجوائها ويتابع إحداثها بمتعة وتركيز وانفعال كما ينخرط مع أبطالها ويتعاطف معهم فيبقي أثرها في نفسه لفترة طويلة. كما أثبتت معظم الدراسات أن الأسلوب القصصي هو أفضل وسيلة نقدم عن طريقها ما نريد تقديمه للأطفال سواء أكان قيم دينية أم أخلاقية أم توجيهات سلوكية أو اجتماعية.

لقد وقع اختياري على النص الأدبي "المالك الحزين" كموضوع للدراسة في هذا البحث لكونه تطبيقًا لدور الذي يلعبه أدب الأطفال في منح الطفل القدرة على التفكير تساعده على مواجهة مشكلات العصر، وإيجاد الحلول الملائمة لها كحماية الطبيعة والمحافظة على البيئة بالإضافة إلى تصدي إلى مشكلات اجتماعية مثل تمييز الذكر ضد الأنثى من خلال وجود ثنائية (الفتي والثقافة) ضد (الطفلة

الفتاة والطبيعة) وفرض سيطرة الرجل على الطفلة الفتاة المتمثلة في سيلفيا والطبيعة، وأخيرًا نضال سيلفيا ضد هذه السيطرة وتمكينها من خلال تفضيلها للطبيعة على الرجل المتمثل في الصياد.

لذا نستطيع القول بأن القصة "المالك الحزين" تعد تطبيقًا لتجربة واقعية من الحياة لأنها تمس قيمًا عالمية ومحلية وهي الحفاظ على البيئة والمساواة بين الجنسين، فهي خير مثال على التواصل الثقافي بين الشعوب. تحاول قصة "المالك الحزين" لفت الانتباه إلى أهمية وضرورة المحافظة على البيئة كسلوك إيجابي لابد أن يتسم به الأطفال، بالإضافة إلى إبراز دور الفتاة الإيجابي التي لديها القدرة على المبادرة واتخاذ القرارات، فهي شخصية قوية تستطيع أن تدير شئون حياتها بشكل واع وصحيح. فضلاً عن ذلك، ترشد الطفلة الفتاة والفتي أيضًا إلى أن الطفلة يجب أن تكون فتاة طموحة تخطط دائمًا للمستقبل وتتطلع إلى الأفضل وتقبل نقد الآخرين، ولا تهتم بالعادات والتقاليد القديمة التي قد تظهر البنت في صورة سلبية، ولكنها، على العكس من ذلك، تتمتع بكل الصفات الإيجابية العصرية العقلانية التي تساعد وتساهم في رفع مكانة الأنثى في المجتمع وتعمل على تقدمه وارتقائه.

تبدأ أحداث القصة عند رجوع سيلفيا بطلة القصة التي تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما من جولتها في الغابة مع بقرتها، فهي تعيش في البرية مع جدتها في كوخ صغير وتعتبر الطبيعة بكل حيواناتها ونباتاتها منزلها الأكبر. فهي ترعى الحيوانات والطيور والنباتات وكل هؤلاء يعتبرون سيلفيا صديقة مقربة لهم. وذات مرة من المرات اصطدمت بصياد معه بندقية، أتى خصيصًا للبحث عن أنواع نادرة من الطيور وعلى رأسها طائر يسمى مالك الحزين على الرغم من استياءها من منظر بندقية الصياد إلا أنها أعجبت به وتحرك قلبها نحوه. قررت سيلفيا اصطحاب الصياد إلى منزلها واستأذنت جدتها في دعوته للعشاء والمبيت وعندما مكث الصياد في منزل سيلفيا وجدتها، شعر أن سيلفيا تعلم الكثير عن عالم الطيور وأنواعها المختلفة وذلك شجعه أن يعرض عليها مكافأة قيمتها عشر دولارات مقابل أن تجد له طائر مالك الحزين. فقررت سيلفيا أن تذهب في رحلة للبحث عن الطائر ليس بدافع حب المال ولكن بسبب تحرك عواطفها نحو الصياد. تركت المنزل عند الفجر وذهبت إلى الغابة لكي تجد الطائر وبالفعل وجدته مع رفيقته فوق شجرة الصنوبر. وهمت سيلفيا في الصعود لكي تمسك بالطائر ولكن لحظة صعود سيلفيا تحولت إلى لحظة توحد مع الطائر وذلك لأنهما تشاركا في رؤية "البحر والصباح سويًا" *(ص338)*. فعدلت سيلفياعن فكرة الإمساك بالطائر لأنها أحست أنه جزء منها لا يتجزأ وقررت أن تصمت ولا تفشي سر صديقها الطائر وعندما ذهبت إلى المنزل وسألها الصياد عن مكان الطائر "لم تتكلم، لم تستطيع إفشاء سر الطائر فقد حررته" (338) غادر الصياد منزل سيلفيا دون تحدث معها، فشعرت أنها فقدت الصياد إلى الأبد ولكنها كسبت نفسها وحريتها وعززت علاقتها بالبيئة وانتهت أحداث القصة بسؤال على لسان الرواي " هل الطائر صديق أفضل من الصياد، من يعلم ؟ " *(ص338)*

أن قصة "مالك الحزين" تصور الصراع بين عالمين متقابلين وهما العالم النسوى المتمثل في سيلفيا

الطفلة الصغيرة البريئة وعلاقتها الوطيدة بالطبيعة والعالم الذكوري المتمثل في الصياد المنفصل تمامًا عن الطبيعة . أن سيلفيا كبطالة من بطلات جويت تجسد ارتباطًا وثيقًا بالطبيعة كما كتبت أنيس برات في مقالها "المرأة والطبيعة في أدب الرواية الحديثة" عن سيمون دى بوفوار التي قالت " أن الفتاه تحب الطبيعة أكثر من الشاب فهي تقدسها وتعتبرها مملكتها الوحيدة" ***(برات، ص447)*** . أن النساء يعرفن بتقدسهن للطبيعة ولهذا صورت جويت علاقة سيلفيا بالطبيعة بطريقتين : اعتبار سيلفيا للطبيعة ملجئ لها، وتفضيلها لطائر مالك الحزين على الصياد . أولاً يظهر اتخاذ سيلفيا للطبيعة كملجئ لها جليًا في الفقرة الافتتاحية من القصة إلى تكشف عن مدي عمق العلاقة بين سيلفيا والطبيعة . أن اسم البطلة له دلالة ومغزى فسليفيا مشتقة من الصفة سيلفيان أي ساكن الآجام أو الغابات وقد تعمدت جويت تسمية بطلتها هذا الاسم لتوضيح مدي الصلة بين بطلتها والغابة إلى تسكن فيها مع جدتها بعد أن تركت منزل أمها في المدينة وانتقلت للعيش في الغابة التي تشعر فيها بانسجام وتتناغم فهي لم ترغب يومًا أن تذهب مرة أخرى إلى المدينة "لقد همهمت سيلفيا أن هذا المكان ساحر ولا تود تركه للعودة إلى المدينة" *(ص330)* فضلاً عن ذلك قد وصفتها جدتها عند حديثها مع الصياد بأنها حنونة على الحيوانات والطيور فهي تقتصد من طعامها حتى تطعمهم " تطير على سليفيا جميع أنواع الطيور لتأكل من يداها" . *(ص 332)*

مع تطور أحداث القصة تكشف جويت عن الطريقة الثانية لعلاقة سيلفيا بالطبيعة والتي تبدأ منذ مقابلتها مع الصياد الذي تحدث معها بطريقة مهذبة ليهدأ من روعها ويكسب ثقتها ولذلك دعته إلى المنزل لتناول العشاء والمبيت وبمرور الوقت أصبحًا صديقان يتحدثان سويًا في كل ما يخص الطيور وأنواعها المختلفة ولكن الصياد له غرض أخر من هذا الحديث فهو يستمع جيداً لسيلفيا لعله يعرف سر الطائر الذي يود اقتناصه "ينظر إلى سيلفيا بنظرة متفحصة لكي يعرف مكان الطائر النادر "*(ص333)* ثم وجهة إليه سؤال " أذا رأيت الطائر من بعيد ستعرفه" *(ص 333)* فهو شديد الإصرار على إيجاد عش الطائر فقال لسيلفيا " أنا لدى الرغبة القوية في إيجاد العش" *(ص 334)* لهذا عرض الصياد على سيلفيا مبلغ عشر دولارات مقابل الإمساك بالطائر لكي يحتفظ به ضمن مجموعة الطيور النادرة فهو يحاول إغراءها بالمال لتقوده إلى الطائر وهذا العرض يمثل صفقة لجعل سيلفيا تتخلى عن وفائها وإخلاصها لأصدقائها الحيوانات . لقد وصف أحد النقاد ويدعي جورج هيلد الصياد على أنه شيطان يحاول إغواء عبد مخلص محب للطبيعة لارتكاب الخطيئة *(ص60)*. ومن ثم أصبح الصياد يشكل تهديداً على الطبيعة التي يحاول إفسادها بقتل الحيوانات والطيور ببندقيته واقتناص بعضها ليضمها في متحفه الخاص بجمع الفصائل النادرة وقد أفصح عن ذلك لسيلفيا "بدأت أن أكون مجموعة الطيور النادرة منذ أن كنت صبي . "*(ص 333)* فهو يمثل قوة العلم والمال والسيطرة وأيضًا العنف والإرهاب أي إرهاب البيئة على النقيض من سيلفيا وجدتها الذين يمثلون البراءة والطهر والتواضع . طبقًا لذلك وصفت الناقدة اليزابيث أمونس الصياد انه رمز لشرور الثقافة الذكورية التي تهدد الطفلة الفتاة والطبيعة فهو يعتبر كلاهما سلع يرغب في امتلاكها والاحتفاظ بها . *(ص15)*

وفي اليوم التالي خرجت سيلفيا مع الصياد إلى الغابة وأثناء وجودهما سويًا بدأت سيلفيا تشعر بإعجاب نحو الصياد لكونه يعلم الكثير عن الطيور التي تحبها كما انه شكله الوسيم جذب انتباهها " بدأت سيلفيا ترى الصياد بعين المحب وقلبها ينبض بحبة ولكن ما يزعجها منظر البندقية على كتفة وتسأل لماذا يهوى قتل الطيور واقتناصها " *(ص334)* وفى هذه اللحظة بدأ الصراع داخل سيلفيا بين حبها لرجل شعرت معه بالدفء والأمان وحبها لأمها الكبرى الطبيعة التي تشعر معها بالحب والسلام .

ثم حاول الصياد أن يطلب منها أن تدله على المكان المحتمل أن يكون هناك فيه عش الطائر ولكنها فضلت أن تتبع الصياد ولا تسير أمامه بل خلفه لأنها لازالت تشعر بالانتماء إلى الطبيعة "فهي تحب الطبيعة بكل كيانها" *(ص335)* ولكنها في ذات الوقت تشعر أن الحياة في الغابة اختلفت بعد وصول الصياد إليها فجويت جعلت سيلفيا تصف أن الحياة كانت "حياة فاترة مملة" أي أن قبل مجيء الصياد كانت الحياة لا معنى لها برغم من أن سيلفيا تعيش هذه الحياة في أحضان أمها الطبيعية ولكن عندما دق قلبها اختلفت نظرتها إلى حياتها السابقة فشعرت أن الحياة أصبح لها معنى بعد وصول الصياد إلى الغابة وليس قبل ذلك كما كانت تعتقد . أن جويت جسدت الصراع داخل سيلفيا بمهارة فائقة حتى أصبحنا نحن القراء جزء من هذا الصراع ونسأل أنفسنا أيهما ينتصر في النهاية حب الفتاة للرجل أم حب الفتاة للطبيعة ؟

عادت سيلفيا مع الصياد إلى المنزل وأخذت تفكر في أنها يجب أن تسعد حبيبها بان تحاول أن تجد الطائر فلذلك قررت الخروج إلى الغابة والبحث عن طائر مالك الحزين فوجدته فوق شجرة الصنوبر فتحملت على نفسها وصعدت الشجرة التي تمثل الحياة وصعودها يمثل شخص يحاول التغلب على مصاعب الحياة حتى أن وصلت أعلى شجرة حيث وجدت ما هو أهم من الطائر نفسه . الحقيقة أن الراوي وصف صعود سيلفيا على الشجرة وكأنها رحلة صعبة ، شاقة فكلما صعدت إلى أعلى بدأت تستعيد حبها إلى الطبيعة وكأن شيء ما بداخلها بدأ يتحرك من جديد وهو تقديسها إلى الطبيعة فحينما وصلت إلى عش الطائر بدأت أن تتأمل حركة أجنحة الطائر وطيرانه بين أغصان الشجر وإطعام وليفته فجلست سيلفيا بجانبهما وحينما أشرقت الشمس وألقت بنورها الساطع على سيلفيا والطائر فوق الشجرة وفى هذه اللحظة توحدت سيلفيا مع الطائر والطبيعة لأنها "رأت نور الصباح والبحر مع الطائر" (ص338) لكى تؤكد جويت لحظة توحد بين الطائر وسيلفيا وصفت سيلفيا إنها تود الطيران مثل الطائر وان قدميها أصبحا كمخالب الطائر "أصبحت قدميها عارية تحركهما كمخالب الطائر" *(ص336)* حتى وجهها تغير لونه فأصبح أبيض مثل لون طائر مالك حزين . جويت أكدت على وصف هذه اللحظة من خلال الرواى حتى تؤكد للقارئ أن سيلفيا قد عقدت العزم على أن لا تبوح بسر الطائر أي مكانه للصياد لأنها شاهدت معه منظر شروق الشمس وتلالاها على مياه البحر .

ثم استخدمت جويت جملة اعتراضية بمثابة تهديد للحظة توحيد سيلفيا مع الطبيعة " قد سألت نفسها ماذا أقول للصياد عندما يسألني عن مكان الطائر وإذا بوحت له ماذا سيفعل أن ذاك . "

(ص337) لقد شعرت سيلفيا بالقلق ماذا تنوى أن تفعل مع الصياد عندما يسألها عن مكان الطائر لكنها قررت " إن تصمت " (ص338) وتحفظ سر مالك الحزين الذي هو سر جمال الطبيعة وبراءتها وسيلفيا لا تريد إفشاء السر ولا إفساد الطبيعة . لقد قررت سيلفيا اختيار حبها للطبيعة عن حبها للصياد لأنها تشعر بالسعادة أكثر في أحضان الطبيعة عن وجودها في أحضان الصياد .

تنتهي أحداث القصة بدعاء الرواى للطبيعة أن تعوض سيلفيا عن حبها للصياد الذي فقدته ووصفها الراوى بـ " المخلصة العزيزة " (ص338) عندما تركها الصياد ورحل عنها . فهي فقدت حب كانت تحلم به ولكنها كسبت حب من نوع أخر وهو حبها لأمها الكبرى الطبيعة ولذلك نحن القراء على اليقين أن الطبيعة سوف تعوضها ولن تتوقف عن أعطاء سيلفيا " العطايا والمنح " (ص338) مقابل حفظها على ولاءها وإخلاصها للطبيعة المتمثل في انقاذ الطائر من الصياد الماكر . لقد رفضت سيلفيا أن تقع في براثن الفخ الذي نصبه إليها الصياد باسم الحب لأنها أدركت عدم قدرتها على الانفصال من الطبيعة لذلك قررت أن تحرر نفسها من حب الصياد وان تحرر الطائر من شبكته ورفضت الخضوع والإذعان للصياد والتنازل عن كرمتها وحريتها وأثرت الحياة مع الطبيعة .

وفي اعتقادي أن جويت منحت بطلتها سيلفيا قوة هائلة مستمدة من " الطبيعة الأم " حتى تستطيع مقاومة الصياد وحبه وان تفضل الطبيعة عنه وبذلك لم تعد سيلفيا الطفلة الصغيرة بل أصبحت نصيرة للطبيعة قادرة على الحفاظ عليها من سيطرة الرجل وتدميره لها فيحنما احتفظت بسر الطائر فهي لم تحرر الطائر فقط ولكنها حررت نفسها أيضًا من ظلم المجتمع الذكورى الواقع عليها وعلى الطبيعة فهي رفضت المال الذي عرضه عليها الصياد وحبه لكي تعيش طليقة في عالمها لذلك يمكن أن اعتبر سيلفيا واحدة من النسويين البيئيين المدافعات عن البيئة ضد سطوة الرجل وسيطرته .

بلا شك أن الطبيعة لعبت دورًا هامًا في أحداث القصة وسياقها الدرامي فهي المكان الرئيسي الذي تطورت فيه الأحداث وعبرت من خلالها جويت على العلاقة القوية إلى تربط الطفلة الفتاة بالطبيعة كما أن اختيار جويت للطبيعة ليس فقط كمكان للأحداث ولكنها ألقت الضوء على تأثير هذا المكان على الشخصيات وسير الأحداث وهذا يتضح من السطور الأولى للقصة حين قارنت سيلفيا بين حياتها إلى عاشتها في المدينة وحياتها التي تعيشها الآن في الغابة " شعرت كما لو أنها لم تعش من قبل بعد مجيئها إلى الغابة " (ص330) فالغابة أصبحت موطنها الأساسي ومنزلها الكبير الذي ترفض أن تتركه لتعود إلى حياة المدينة كما أن جويت وضعت الطبيعة مع سيلفيا سويًا مقابل العلم والصياد معًا إي أن الصياد باستخدامه للبندقية يشكل غزوًا على أمن الطبيعة وسلامتها ولكن سيلفيا أخذت جانب أمها الكبرى لكي تتصدى لهذا التهديد الغاشم وانتصرت عليه في النهاية .

لقد جذبت جويت ببراعة انتباه القارئ إلى عملية التحول النفسي والشخصي التي حدثت للبطلة الصغيرة سيلفيا وانتقالها من حالة شعور بالضعف والألم واليأس والحسرة والبؤس والشقاء التي أصابتها من تعرضها لأشكال الظلم والاضطهاد من قبل الصياد إلى شخصية صبورة، قوية الإرادة، مثابرة، مناضلة، مكافحة، حرة، ومستقلة استطاعت أن تقيم سلوكها وأفعالها بنفسها دون السماح

لأحد أن يتدخل في حياتها أو يفرض سيطرته على تصرفاتها . كما أنها تبذل قصارى جهدها دون شعور بالكلل أو الملل لكي تصل إلى أهدافها المنشودة في الحياة . وبذلك تعطينا جويت درسًا رائعًا في كيفية تحدي صعاب الحياة ومواجهتها حتى نكون أنفسنا ونحي حياة مستشعرين فيه طعم شرف المحاولة والتجربة .

لقد برعت جويت في استخدام نوعين من الرموز : الألوان والطيور فهي اعتمدت على إبراز ألوان مختلفة لكي تمثل عنصراً مهما وحيويًا في مساحات التكوين الجمالي للنص القصصي ، بحيث تعمق من البعد المرئي ، لتساند وجهة النظر الراصدة للعالم كما أن الملاحظة الواضحة على توظيف جويت للألوان أنها تقوم بصناعة سياق الخولات اللونية من الموجب إلى السالب وكأنها بذلك تعد لها دوراً مهما في نص يتحدث عن علاقة الطفلة الفتاة بالطبيعة . فالأبيض يرمز إلى النقاء والبراءة والمعرفة والحرية وهو أكثر الألوان شيوعًا في القصة كما انه ظهر في نهاية القصة وأرتبط بلحظة المعرفة لدي البطلة الصغيرة سيلفيا بأنها وجدت نفسها ، فهو يرمز إلى النقاء والبراءة والمعرفة والحرية وهو لون الطائر مالك الحزين الذي يرمز إلى السلام التي وجدته سيلفيا في نهاية الرحلة لتأكيد إيجاد ذاتها وصحوتها واستعادة ثقتها بنفسها وتعزيز علاقتها مع مجتمعها الممثلة في الطبيعة . كذلك ربطت جويت جميع لحظات المعرفة لدى سيلفيا بالون الأبيض على سبيل المثال عندما صعدت سيلفيا إلى الشجرة وتوحدت مع مالك الحزين قد رأت لون شراع المراكب التي كانت تمر أمامها والقرى المحيطة بها بيضاء اللون وكأن لون الأبيض يرمز إلى صحوتها واستعادة علاقتها مع الطبيعة .

وعلى النقيض استخدام اللون الأسود يشير إلى الظلام والجهل والتخبط والخطر والشر والمجهول ، فعندما كانت تخرج سيلفيا للبحث عن البقرة صديقتها كانت دائمًا تشعر بذعر بالرغم من معرفتها للطريق . كذلك أن سيلفيا تتطعم جميع الطيور ماعدا الغربان فهذا يدل على انها لا تحب لون الأسود مطلقاً . هناك لون الرمادي الذي يمثل شيء وسطًا بين لون الأبيض ولون الأسود وقد ارتبط هذا اللون بسيلفيا فمثلاً لون عينها رمادي لتؤكد جويت أن سيلفيا تواجه صراع داخلي بين حبها للصياد وواجبها لحماية مالك الحزين من الصياد حتى ولو تكلف الأمر التضحية بحبها وسعادتها . وأخيراً اللون الأحمر الذي ظهر في نهاية القصة عندما عبر السارد على حزن سيلفيا مما يفعله الصياد وقد أصبح ريش الطيور ملطخ بلون الدم أشارة إلى مدى العذاب الذي تعرضت إليه سيلفيا والطيور معاً .

أن جويت أشارت إلى استخدام أنواع مختلفة من الطيور مثل أبو زريق والسيد الأمريكي وأبو الخنساء والعصفور الدوري ومالك الحزين لكي تربط بينهم وبين سيلفيا فهم يرمزوا إلى السلام والنقاء وهذا ما وجدته سيلفيا عندما قررت أن تترك المدينة لتعيش وسط الطيور والحيوانات في الغابة كما أن هناك أوجه شبه بينهم كطيور وبين سيلفيا مثل البراءة والحرية والنضج بالإضافة أن كل منهم يبحث عن ذاته ويحاول أن يحققها .

إن " المالك الحزين " كنموذج قصصي يعمل على تفاعل الأطفال معه ، كما يسهم في تنشئة الطفل وعلي وجه الخصوص الطفلة الفتاة وتكوين عناصر شخصيتها وذلك من خلال نموذج سيلفيا الفتاة

الصغيرة التي تعيش وسط الريف أو الطبيعة وتمتزج مع هذا الواقع، فهي كبطلة للقصة تساعد الطفلة الصغيرة وخاصة التي تعيش في مجتمع ذكوري- مثل الفتاة المصرية التي تعيش في الريف- على أن تعيش خبراتها، وتنجح في أنجاز أعمال بطولية تثبت نفسها وتتغلب على الصعوبات. ومن ثم تتسع خبرتها الذاتية وتتعمق مداركها الشخصية التي تكسبها العديد من المهارات التي تسهم في بناء شخصيتها مثل: الصبر على تحمل الشدائد، المثابرة، الكفاح بشرف، تحدي المحن القاسية، مواجهة صعاب الحياة، قبول الأخر المختلف دون صدام معه، الشعور بالألم والعذاب يساعد في تحقيق الأهداف المنشودة، اهمية البحث عن الذات لكي نشعر بالسعادة بأننا أنفسنا ولسنا الآخرين. أن هذه المهارات تساعد الطفلة الصغيرة والطفل أيضًا على النمو الاجتماعي، كما تعمل على بث العواطف النبيلة، طبع الخلق الفاضل، اكتساب خبرات ذاتية، واعتناق اتجاهات سلوكية اجتماعية من اجل بناء المجتمع.

أن جويت اهتمت بأهمية وعي الطفلة لنفسها وعلاقتها بالآخرين حتى تساعدها على فهم نفسها بشكل أفضل وفهم الآخرين أيضًا من اجل إقامة علاقات ايجابية معهم لأن الطفلة الفتاة على وجه التحديد دائمًا بحاجة إلى رؤية واضحة المعالم لأمالها وتطلعاتها والي تهدئة صخب انفعالاتها والي وعي شامل لمشاكلها وصراعاتها وتلمس حلولها والي تجاوز الحدود الضيقة لوجودها المتمركز حول ذاتها، وبذلك يمكن للطفلة أن تنتقل من وجود تبعي متأزم ومشحون برغبات طفولية إلى وجود مستقل لحد ما أكثر أرضاء وملائمة لنفسها. وبذلك قد نجحت جويت في مساعدة الطفلة على وعي معني الحياة ومساعدتها على وعي قيمة ذاتها وعلاقاتها بالآخرين لكي تدرك الطفلة الفتاة جوهر معني الحياة أي الإحساس بقيمتها وبأنها جديرة بأن تعايش وفق مقاييس العطاء والسعادة في إطار قيم بناءة ايجابية.

وقد حرصت جويت في نصها الأدبي "المالك الحزين" على مراعاة المعايير الفنية، لذلك أن الفكرة الأساسية للموضوع ليست مجردة بل إنها قيمة ومفيدة فهي تعمل على ترسيخ المبادئ والأخلاقيات في أذهان الأطفال ونفوسهم فتأتي القصة مستمدة أحداثها وشخوصها وأجواءها من واقع حياة أطفالنا المعاصرة، كما ابتعد أسلوبها عن الغموض والتناص فقد تحريت الوضوح والدقة كما ابتعدت عن الرتابة والأسلوب الخطابي المباشر بل اعتمدت على الأسلوب غير المباشر والإيحاء، وتجنبت الإسراف في الزخرف والتكلف في الأسلوب والمبالغة في الوصف والتوضيحات، مع التقليل من استخدام أسلوب التلميح والمجازات الغامضة والكنايات البعيدة، واستخدمت مفردات وتراكيب لغوية ليست صعبة. واللغة المستخدمة بسيطة وموجة للطفل. ومما يضفي على النص الحيوية والحركة وجود المقاطع الحوارية والتخفيف من السرد الزائد. كما أن عالم الخيال الذي تدور أحداث القصة فيه ما هو إلا معادل رمزي لعالم الواقع الذي نحيا فيه، فعلي الرغم من أن شخصيات القصة الرئيسية سيلفيا الفتاة الصغيرة والطائر المالك الحزين إلا أنها تعبر بصدق عن نماذج إنسانية تحي معنا في المجتمع، فبطلتنا سليفيا ترمز إلى الفتاة الصغيرة التي تبحث عن ذاتها حتى تتمكن من التصدي للحياة ومتغيراتها بايجابية ووعي. وفي هذه القصة تظهر تفاصيل كثيرة ترتبط بالواقع المعيش وبحياة أطفالنا المألوفة مما يسهم في خلق التفاعل بين الأطفال المتلقين والقصص المكتوبة، ويعمل على زيادة تكيفهم للواقع،

ويقربهم من بيئتهم ومجتمعهم، فلا يشعرون بالغربة ولا الاغتراب. فقد جمعت جويت بين المعايير الأدبية الفنية والمعايير النفسية التربوية لذلك لا غرابة أن يقرأ الأطفال الصغار قصة "المالك الحزين" وأن يحبوها الكبار.

وبما أن بطلتنا الأساسية في هذا العمل هي سيلفيا والتي تعد نموذجًا للفتاة المحبة للطبيعة Green-World Archetype، وكذلك فهي أيضًا نموذج للبطل الأسطوري الذي تحدث عنه جوزيف كامبيل في كتابه "بطل بألف وجه" أن كامبيل حدد ملامح للبطل الأسطوري فهو يمر في ثلاث مراحل متتالية كالأتي: المرحلة الأول "مرحلة الرحيل" وهو عندما تعرض البطل لمحنة ويستلزم الأمر لرحيله للبحث عن حل لهذه الأزمة والمرحلة الثانية "المعرفة" عندما ينتصر البطل على كل العقبات التي واجهته أثناء رحلته ومنها إلى المرحلة الثالثة "العودة" عندما يعود منتصراً محقق غايته وقد أكتسب كم معرفي هائل يساعده في حل أزمته التي تعرض إليها وهذا ينطبق على سيلفيا فقد مرت بتجربة "البحث" عن مالك الحزين من أجل إرضاء الصياد ثم مرت بمرحلة "المعرفة" عندما صعدت الشجرة للإمساك بالطائر وحين ذلك توحدت مع الطائر ومن ثم مع الطبيعة وقد أدركت تمامًا أنها لا تستطيع الانفصال عن أمها الكبرى "الطبيعة" وعندما عادت إلى منزلها قررت أن لا تفشي سر الطائر حتى لا تخون أمها الطبيعة وبذلك تكون حققت "انتصاراً" عندما اختارت الطبيعة ودافعت عنها ضد مجتمع ذكوري، مادي متمثل في الصياد.

وعلى النحو السابق، فقد برعت جويت في رسم رحلة تجربة اكتشاف الذات للبطلة سيلفيا: في بداية الرحلة تعرضت سيلفيا لقسوة وظلم واضطهاد، وفي وسطها خاضت سيلفيا التجربة وشعرت خلالها بمعاناة وألم لإيجاد الذات، وفي نهايتها شعرت سيلفيا بالسعادة الغامرة لاكتشاف ذاتها، واختبار قوتها على تحدي الصعاب مما يزيدها صلابة لتحمل الألم والمعاناة التي أثقلت شخصيتها مما تولد عنه شعور بأنها قوية من الداخل ولا تقل قوة وصلابة وتحدي عن الرجل الممثل في الصياد. صورت جويت سيلفيا فتاة شجاعة تعرف حقوقها، قادرة على مواجهة الصعاب وتحمل المسئولية، لها دور قيادي برغم صغر سنها في التمسك بالدفاع عن قضايا ذات اهتمام بالغ مثل نصرة الفتاة والحفاظ على البيئة في براءة وتحد لتنتصر في النهاية.

الخاتمة:

وفي الخاتمة ابرز البحث أن قصة "مالك الحزين" لسارة ورني جويت تهدف إلى تعضيد العلاقة بين الطفلة الفتاة والطبيعة لإظهار أن المجتمع الذكوري السبب الرئيسي في اضطهاد الفتاة والمرأة وتدهور الطبيعة فقد ربطت جويت بين الاستغلال والصيد وسفك الدماء والمجتمع الذكوري المتمثل في الصياد لأن من وجهة نظرها أن الذكورية استخفت بالعلاقة المتميزة بين الطفلة الفتاة والطبيعة وتجاهلت كلاهما لذلك أن جويت من خلال قصتها "مالك الحزين" تدعو جميع الفتيات لإنقاذ الطبيعة والمدافعة عنها ضد ظلم المجتمع الذكوري وسيطرته.

وبالرغم من أن قصة "المالك الحزين" كتُبت في القرن التاسع عشر لروائية أمريكية أي أنها موجهة إلى الطفل الأمريكي والمجتمعات الغربية، إلا أنها إذا قُرئت الآن للطفل العربي في المجتمعات الشرقية ستلقى استحسان وتقدير لأنها تعبر عن قيم ومفاهيم محلية ـ عالمية مختلفة مثل تمكين الفتاة والمحافظة على البيئة وهي قضايا ذات أولوية في كافة المجتمعات الشرقية والغربية. أن قصة سارة ورني جويت تلقي الضوء على مفهوم عالمي شديد المحلية أيضًا وهو تمكين الفتاة عن طريق تقديم شخصية "سيلفيا" التي تعكس الصورة الإيجابية لما يجب أن تكون عليها الفتاة الصغيرة في المجتمع وخاصة المجتمع الذكورى مثل الريف المصري، فعندما جعلت جويت سيلفيا تحب الصياد، فان الفجوة الثنائية بينهما لم تتسع وبذلك يمكن لسيلفيا أن تعلم الصياد كيف أن يحب الطبيعة ويحافظ عليها. وهذا هو الهدف العام القضاء على الفكر الذكورى أن الطفلة الفتاة والطبيعة مقابل الذكر الفتي والثقافة حتى لا تتسع الهوة بينهما مما يؤدي إلى استعادة علاقتهم بعضهم ببعض ومن ثم تقوية هذه العلاقة مع الطبيعة، وتوجيه الأطفال سواء فتيات أو فتيان إلى ضرورة المحافظة على البيئة من حولهم وتثقيفهم على مفهوم واحد أن المحافظة على البيئة تعني المحافظة على الوطن والحياة وذلك من اجل وجودهم ضمن بيئة سليمة واستمرارهم في حياة صحية سليمة مما يؤدي إلى إعداد مواطنين صالحين في المستقبل يسعون في الخير لمجتمعاتهم والإنسانية.

وأخيراً مما يتقدم يتبين لنا، أن قصة "المالك الحزين" للكاتبة الروائية سارة ورني جويت ليست معنية فقط بمحاولة تقديم نموذجًا للأخلاقيات والسلوكيات والقيم التي يجب أن تتوفر في طفل القرن الحادي والعشرين، ليستطيع أن يكون عضواً فعالاً في هذا العالم، إنما هي مهتَمة أكثر باللقاء الضوء على قيم ومفاهيم عالمية ومحلية تعكس ثقافة مشتركة بين الشعوب مثل تمكين الفتاة والحفاظ على البيئة، مما يؤكد على أن هذا العمل الأدبي يعد نموذجًا على وجود تمازج بين الثقافة الشرقية والغربية لأن أذا نُقلت هذه القصة من الثقافة الغربية إلى الشرقية ليقرأها الطفل العربي، لن يشعر بالاغتراب أو الغربة الشديدة أو التغريب عن وطنه أو مجتمعه لتسليطها الضوء على قيم عالمية ليست حكراً على ثقافة معينة أو وطن بعينه، إنما تشغل فكر الإنساني أي الإنسانية. فكما تعقب ميلاني كيلن باحثة في جامعة مريلاند عن أهمية أدب الأطفال في خلق التواصل الثقافي بين الشعوب شرقًا وغربًا، فتقول: "إن الأطفال حول العالم أصبحوا يشتركون في مجموعة من القيم والمفاهيم التي استطاعت أن تتخطي حواجز الثقافات المختلفة". *(نيفلي، ص 37)*

وبذلك يمكننا القول: إن قصة "المالك الحزين" أقرب إلى البيئة الشرقية وانعكاسًا أوقع لها بمناقشة أهم قضايا المجتمع الشرقي، فهي بذلك تخطت حواجز الثقافات وتخاطب جميع الأطفال في أنحاء المعمورة في الشرق والغرب.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

1. الحديدي، علي. في أدب الأطفال. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1976.
2. الفيصل، سمر روحي. أدب الأطفال وثقافتهم: قراءة نقدية. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1998
3. شحاتة، حسن. أدب الطفل العربي. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1991
4. عبد الفتاح، إسماعيل. أدب الأطفال في العالم المعاصر. مكتبة الدار العربية للكتاب، 1999

المراجع الإنجليزية:

Primary Resources:
Jewett, Sarah Orne. "A White Heron." Scribbling Women Short Stories By the 19th Century American Women. Ed. Christopher Bigsby: New Brunswick, New Jersey: Rutgers University Press, 1997. 329-338.

قامت الباحثة بالاقتباس والترجمة من النص الأدبي موضوع الدراسة لتدعيم البحث.

Secondary Resources:
Ammons, Elizabeth. "The shape of violence in Jewett's "A White Heron"."
Colby Library Quarterly 22.1(March 1986): 6-16.
Campbell, Joseph. The Hero with a Thousand Faces. Princeton: Princeton University Press, 1949.
Devine, Maureen. Woman and Nature: Literary Reconceptualizations.
Metuchen: The Scarecrow Press, Inc., 1992.
Gates, Barbara T. "A Root Of Ecofeminism: Ecofeminisme." Ecofeminist Literary Criticism Theory, Interpretation, Pedagogy. Ed. Greta Gaard and Patrick D. Murphy. Chicago: University of Illinois Press, 1998. 15-21.
Held, George. "Heart to Heart with Nature: Ways of looking at "A White Heron"." Critical Essays on Sarah Orne Jewett. Ed.Gwen L. Nagel Boston: G.K. Hall and Co, 1984. 58-68.
Pratt, Annis. "Women and Nature in Modern Fiction." Contemporary Literature. 13.4 (Autumn 1972): 476-90.
Lukens, Rebecca J. A Critical Handbook of Children's Literature.3 rd ed. Glenview: Scott, Foresman and Company, 1986.
Neville, Emily. "Social Values in Children's Literature." A Critical Approach To Children's Literature. Ed. Sarah Innis Fenwick. Chicago: The University of Chicago Press, 1967.
Ruether, Rosemary Radford. "Ecofeminism: Symbolic and Social Connections of the Oppression of Women and the Domination of Nature." This Sacred Earth: Religion, Nature, and Environment. Ed.Roger S. Gottlieb. NewYork: Routledge, 1996. 322-33.